

## القسم الخامس

### الشرائع المدنية والجزائية والأعياد المقدسة

«إيان يلتقي كلُّ من معياري تطبيق العدل وحُسن النوايا ؟ عندما يمكن حتّ الأطراف المتنازعة على التوصل إلى اتفاق بشكل سلمي» .

كان تحقيق هذه الغاية الهدف الأسمى دوماً للشرائع اليهودية القديمة ، غير أن ثمة فارقاً مميزاً تراه يفصل ما بين شقّي الشرائع المدنية والجزائية . وفي الدعاوى السالفة كان يمكن تجهيز المرافعات مسبقاً ، والأحكام تصدر إما عن الهيئة العامة للقضاء ، أو عن قضاة خصوصيين يُختارون من قِبل الطرفين المتنازعين ، فيما كان هناك العديد جداً من الضوابط الأخلاقية المسلطة على القضاة لإبقائهم ضمن حدود النزاهة ، كما في الأمثلة التالية :

«مَنْ يحكّم بملك شخص لغيره ظلماً وبُهتاناً ، تُسأل عنه روحه أمام الله» .

«إذا جلس القاضي للحكم بين الأقران فكانَ ثمة سيفاً موجهً إلى قلبه» .

«ويلٌ لقاضٍ يصدر حكماً جائراً ، ويعمل على تحميل مسؤوليته للشهود .

فإن الله يحاسبه عليه هو بالذات» .

«إذا وقف الخصمان أمامك فعاملهما على أنهما مُذنبان ، أما عند فضّ

المحكمة فعاملهما على أنهما بريثان ، طالما أن الحكم أبرم وانتهى» .

ولم يكن يحقّ للقاضي الاستماع إلى أية تفاصيل حول دعوى قضائية ، ما

لم يكن جميع القُراء حاضرين ، وعليه فرضُ لازِبٌ بأن يكون بعيداً تماماً عن

التحيّز جرّاء مقام الخصوم أو غناهم ، لفقير ضدّ غنيّ أو لغنيّ ضدّ فقير .

وكان شهود الدعوى يتعرضون لأقصى درجات التدقيق ، بما لا يقل عن تدقيق الدعوى ذاتها ، وكانت تُستبعد عنهم اللياقة مباشرة إن كانت لهم أدنى مصلحة شخصية في الدعوى . وكان إذا طالب صاحب الادعاء بأكثر مما يحق له شرعاً ، من باب الطمع بالمزيد ، يفقد دعواه أصلاً .

وفيما كان يكفي ثلاثة قضاة لتشكيل محكمة للفصل في الدعاوى المدنية ، كان يلزم لتأليف المحاكم التي تنظر في الدعاوى الجنائية ثلاثة وعشرون قاضياً ، وبينما كان في الدعاوى المدنية يلزم تحقيق الأغلبية بشخص واحد للتبريء أو للإدانة ، ففي الدعاوى الجنائية يلزم للتبرئة الأغلبية بشخص واحد ، أما للإدانة فيلزم شخصان .

وكان شهود الوقائع في الدعاوى الجنائية يتم تنبيههم على النحو التالي ، لدى حضورهم للشهادة في المحكمة :

«لعلك تنوي النقل عن مصدر إشاعات ، فتكون ناقلاً عن شاهد آخر ، فتروي ما سمعته عن شخص ثقة برأيك ، أو لعلك لا تدري بأننا سنختبرك بأسئلة تفصيلية وعبارات تقص . فلتعلم إذاً أن هذه المحاكمة ، التي تقف فيها حياة امرئ على المحك ، ليست كالمحاكمات المتعلقة بشؤون المتاع الدنيوي . فالمال يمكن تعويضه بالمال ، وأما في المحاكمات التي كهذه فليس الأمر مقتصرًا على دم شخص يُدان ظلماً ، وإنما دمٌ ذريته وذريته ذريته إلى أبد الدهر يكون حملاً ثقيلاً ينوء به كاهلُ شاهد الزور . لقد خلق آدمٌ وحيداً مفرداً ، فمن يقتل نفساً واحدةً بغير حق فهو يؤاخذ كأنما قتل الناس أجمعين . لذلك فعليك أن تتحرى مواقع كلامك ، ولكن من جهة أخرى لا تقولنَّ : «وما علاقتي أنا بهذا كله ؟» ، بل تذكر عبارة الكتاب المقدس : «وإذا سمع أحدٌ وهو شاهدٌ يبصر أو يعرف ، فإن لم يخبر به حملَ ذنبه» ، وفضلاً عن ذلك تذكر : «وعند هلاك الأشرار هُتافٌ»<sup>(1)</sup> .

وكانت العقوبات تُنفذ بأقصى حد من الرفق ، وكان الدستور الديني برمه يتجلى العدالة التامة ، ملطفة بالرحمة بأصدق وأبلغ معانيها .

(1) سفر الأمثال - 11 : 10 . والآية السابقة ترد في سفر الليويين - 5 : 1 .

وبالغثة ما بلغت جرائم الجاني ، كانت تفي عقوبة واحدة لتحتويها جميعاً .  
وكان لا يمكن أن تُرفق العقوبة بغرامة مالية ، وفي حالات الجلد كان عدد الجلدات  
مُحدداً في أشدّ الحالات غرماً بتسع وثلاثين جلدة .

وكان يلزم القضاة في القضايا الكبرى أن يصوموا طوال النهار في الأيام التي  
ينطقون فيها بأحكامهم ، وحتى بعد الحكم كانت الدعوى تُدقق ثانية في المحكمة  
العليا قبل أن تكتسب الدرجة القطعية .

أما موقع الإعدام فكان يُجعل على بُعد كبير من المحكمة ، وعند سَوْقه إلى  
هناك كان السجين يُوقف عدة مرّات ، ويُسأل عمّا إذا كان بإمكانه أن يفكر بأي  
شيء لم يُذكر ، قد يكون من شأنه التأثير في رأي القضاة لصالحه . وكان يحقّ له  
العودة إلى المحكمة تكراراً كما يرغب لتقديم دُفوع فرعية جديدة ، وكان ثمة مُنادٍ  
يتقدمه ويصيح عالياً : «هذا الرجل يُساق إلى الإعدام . . . وجرمته كذا . . .  
والشهود عليه فلان وفلان . . . فإذا كان لدى أحد أي شيء يشهد به لصالحه ،  
فليتقدم الآن ويدلي بما لديه» .

وكان يُطالب قبيل إعدامه بالاعتراف ، فيقول له القوامون : «اعترف  
بذنوبك ، فكلّ مَنْ يعترف ويتوب له في الآخرة نصيب» . فإن لم يُدلّ باعتراف  
كان يُطلب إليه ترديد التالي : «فليكن موتي كفارةً لذنوبي كلّها» .

غير أن عقوبة الإعدام مع ذلك كلّه كانت شيئاً نادر الحدوث<sup>(1)</sup> ، وكأنها  
كانت من الناحية العمليّة مُلغاةً . والواقع أن عدداً من القضاة كانوا ينادون علناً  
بإسقاطها ، وكان ثمة محكمة نظقت بحكم موت واحد خلال سبع سنين ، أُطلق  
عليها لقب : «محكمة القتل» .

\*\*\*

(1) المحاولات پراغماتية واضحة لتصوير أحكام الشريعة اليهودية القديمة وكأنها تتوافق تماماً  
مع إيديولوجيات العصر الحاضر ومعايير الأخلاقية ، بأعلى مستوى .

## عيد العبور

### פסח (الفصح)

يبدأ عيد الخبز الفطير أو عيد العبور<sup>(1)</sup> عشية يوم 14 من شهر «نيسان» [15 أبريل] ، ولقد تم وضعه تخليداً للذكرى ردّ أسلافنا من مصر ، وهي ذكرى أبدية . وخلال مدة العيد يُحرّم علينا كلياً تناول أي طعام مُخمّر<sup>(2)</sup> .

قال موشيه ليسرئيليين باسم الربّ<sup>(3)</sup> : «اسحبوا وخذوا لكم غنماً» .

فلدى التزامهم بهذه الوصية يستحقّون الله بجدارة وهو بالتالي بخلصهم ، لأنه عندما تكلم كانوا «عُرّة حفاة» من الأعمال الصالحة والفعال الحميدة .

«اسحبوا وخذوا لكم غنماً» : أي انسحبوا عن الأوثان التي تعبدونها مع المصريين ، ومن العُجول والحملان المصنوعة من الحجر أو من المعدن ، إنما بواحد من الحيوانات التي كنتم بها تُذنبون تهبّأوا للوفاء بالتزامكم تجاه أوامر إلهكم .

ولما كان الرمز الفلكي لشهر نيسان هو الحمل ، وحتى لا يقرّ في أذهان المصريين أنه من خلال قوّة الحمل تمّ لهم الانتفاض من نير العبودية ، فقد أمر الله شعبه أن يأخذوا حملاً ويأكلوه . ولقد أمروا بأن يشووه كاملاً وبالألّا يكسروا فيه عظماً ، لكي يتيقن المصريون من أن ما أكلوه كان حملاً بالفعل .

وقال الله لموشيه : «قل لبني إسرائيل أن يطلبوا من المصريين أمتعة ذهب وأمتعة فضة»<sup>(4)</sup> ، ثلاثاً يُقال فيما بعد : «لقد تحقّق الكلام القائل : «ويستعبدون لهم فيذلّونهم» ، ولم يتحقّق الكلام القائل : «وبعد ذلك يخرجون بأموال جزيلة»<sup>(5)</sup> .

(1) يسّخ (أو فسّخ) في العبرية هو العبور ، ومنه نقلت السريانية : فسّسا ، وعنّها العربية ، والفرنسية pâques ، والروسية Пасха ، بينما في الإنكليزية passover .

(2) أي العجين يُداف بالماء أو يكتّ بالزيت ليختم في اليوم التالي . أما الفطير فالمعجن قبل اختماره ، ولذا يسمّى عيد الفصح : חג המצות «حج همستوت» (عيد الفطير) .

(3) سفر الخروج - 12 : 21 .

(4) اقتباس من سفر الخروج - 3 : 22 ؛ 11 : 2 .

(5) انظر سفر التكوين - 15 : 14 .

ولما كلم موسىه السرييليين بأن عليهم أن يصعدوا خارجين من مصر بأملك  
جزيلة ، أجابوه : «ليتنا نخرج ولو كانت أيدينا فارغة» ، أي كالعبد الملقى به في  
السجن ، إذا قال له السجنان : «غداً أطلقك من السجن ، وأعطيك مالا وفيراً» ،  
أجابوه : «أطلقني اليوم ، ولا تعطني شيئاً» .

وفي اليوم السابع من عيد العبور عبر بنو سرييل خلال البحر الأحمر على  
اليابسة .

في بعض الأيام ، كان رجل يسافر في طريقه وابنه يسبقه على الدرب .  
فعرض لهما أمامهما قاطع طريق ، فوضع الرجل ابنه خلفه . وإذا بذئب يأتي  
خلف الصبي ، فحملة أبوه واحتواه في ذراعيه .

فهكذا بنو سرييل ، لما أرهقتهم أشعة الشمس الحادة «نشر الله عليهم  
السحاب ليقيهم» ، ولما جاعوا أمطر الله عليهم خبزاً من السماء ، ولما عطشوا  
«أخرج لهم الماء من الصخرة»<sup>(1)</sup> .

## عيد الحصاد חג הקציר

يقع «عيد الأسابيع»<sup>(2)</sup> חג שבועות أو عيد «الحصاد» חג הקציר في اليوم  
السادس من الشهر الثالث «سيوان» סיוון (حزيران) . وهو يُسمى بعيد الأسابيع  
لأنه عند مضي تسعة وأربعين يوماً ، أو سبعة أسابيع بما يُعادلها ، ما بين اليوم  
الثاني من عيد العبور ، كانت العادة (إبان كان الهيكل قائماً) أن تُقدّم حزمة من  
الشعير الأخضر ، وفي هذا الاحتفال كان يُخصّص رغيفان مخبوزان من باكورة  
دقيق القمح المحسود ، لكي يُقدّمَا «خميراً باكورة الرب» . وهو كذلك بمثابة  
ذكرى لتسليم الله لُوحي الوصايا لمُوشيه بجبل سيناء<sup>(3)</sup> .

(1) انظر سفر الخروج - 17 : 6 .

(2) انظر سفر الخروج - 34 : 22 .

(3) انظر سفر الخروج 24 : 12 ؛ 34 : 1 .

ولكن لماذا لا نرى الكتاب المقدس ينصّ على ذكر هذا العيد كباقي الأعياد الأخرى ، بأن يصرح قائلاً على سبيل المثال : «في اليوم السادس من الشهر الثالث نزلت الشريعة» ؟

هذا لأنه في العصور السّالفة كان الذين يحملون جُزافاً لقب «الحُكماء» يكرّسون إيمانهم وعبادتهم للكواكب<sup>(1)</sup> ، ويعبّدونها سبعة ، ويخصّصون لكل واحد منها يوماً من أيام الأسبوع . واختارت بعض الأمم الشمس إلهاً أكبر لها ، بينما فضّلت أممٌ سواها القمر ، وهكذا دواليك ، فكانوا يصلّون لها ويعبّدونها . ولكنهم ما كانوا يعلمون أن الكواكب تتحرّك وتتغيّر بحسب موازين الطبيعة ، التي وضعها وبرأها الله العليّ القدير ، والتي بيده لأن يغيّرها حسبما يشاء ويريد ، وجرى أن عديداً من اليسرّيليين اعتنقوا جهالاتهم وكفرهم هذا . ولذلك ، بما أنهم اعتبروا الكواكب سبعة ، فلقد وضع الله أشياء كثيرة أخرى بناءً على هذا العدد ، لكي يُريهم أنّما كما هو خالقهم فهو أيضاً خالق الكواكب<sup>(2)</sup> .

وأما اليوم السّابع من الأسبوع فجعله يوم سبّات ، والسّنة السّابعة جعلها سنة راحة ، وبعد مضيّ سبع سنين سبع مرّات ، أي بعد مضيّ سبع سنين سبّتيّة (שנה שמטה) ، عين سنة اليوبيل ה'יובל' ، أو سنة الخلاص . وخصّص سبعة أيام لعيد العبور (الفصح) ، وسبعة أيام لعيد المظالّ (سكّوت) . وحصار أريحا دام سبعة أيام ، قام أثناءها سبعة كهنة بنفخ سبعة أبواق (شوفار שופר) ، وهم يطوفون حول أسوارها سبع مرّات في اليوم السّابع .

لذلك ، بعد احتساب سبعة أسابيع خلال أوان نُضج القمح ، يتعيّن على اليسرّيليين عقد احتفال في الكنيس ، لتسبيح من يمنع ما يشاء ولا يمتنع عنه شيء ، ومن يغيّر ما يشاء ولا يطاله تغيير .

(1) المقصود بذلك الديانات الوثنيّة في المشرق ، وما نقل عنها وتبعها في أوروبا بوثنيّتها الغربيّة التي انتسخت خصوصاً عبادة البعل الكنعاني وأبيه إيل (صار لدى الإغريق زيوس ولدى الرومان جوبيتر) . أما الشمس فرمز لزيوس والقمر لأنثاه .  
(2) ما شاء الله ، إذا كان واضعوا هذه النظرية العبقرية يرون أن الله يمكث في انتظار جهالات القوم ليضع لكونه مقاييسه بغرض إفحامهم ، فهذا ينقض عقيدتهم الدينيّة لمبدأ التوحيد ولكون الخالق كليّ القُدرة وحكيماً ! حاشى وتعالى عن هذا الهذر .

في اليوم الأول تمّ تخليص اليسرئيليين من نير العبوديّة ومن العبادة الباطلة ، وفي اليوم الخمسين منحو الشريعة لتوجههم في أمور معاشهم ، ولذا فلقد أمرُوا بتعداد هذه الأيام وحفظها .

وتروي الأسطورة أن بني يشمعييل طلب إليهم أن يتبعوا الشريعة ، فسألوا : «فَعَلَامَ تَنْصُ الشريعة ؟» ، قيل لهم : «لا تسرق» . فأجابوا : «فكيف نتبعها إذاً وقد ورد في حقّ أجدادنا بالكتاب المقدّس : «يده على كل واحد»<sup>(1)</sup> ؟» .

كما طُوب بنو عيسو أن يتبعوا الشريعة ، فسألوا أيضاً : «عَلَامَ تَنْصُ ؟» ، قيل لهم : «لا تقتل» ، فقالوا : «لا يمكننا اتّباعها ، لأن أبانا يصحاق قد باركنا بقوله : «وبسيفك تعيش»<sup>(2)</sup> .

ثمّ إنه لما طُوب بنو يسرئيل<sup>(3)</sup> باتّباع الشريعة ، أجاب الشعب : «سمعنا وأطعنا» .

### عيد رأس السنة ، أو يوم الذكرى (رُوش هَشَنَاه) ראש השנה

في اليوم الأول من الشهر السابع «تشري» תשרי تحمل ذكرى خلق الدنيا . وفيه يُنفخ في البوق (الشوفار שופר) إعلاناً على الناس أن سنةً جديدة قد بدأت دورها ، ولكي يُنذروا على وجوب مراجعة أعمالهم بشكل دقيق ، والتوبة عن الذنوب حيث تجب التوبة .

أفلا يجدر بكل إنسان عاقل ، إن كان دارياً باقتراب مثوله أمام محكمة إدانة ، أن يهيئ نفسه لمثل ذلك اليوم ؟ أو ليس يلجأ للاستشارة ، سواءً أكانت الدعوى تتعلق بقضية مدنيّة أم جنائيّة ؟ فكيف إذاً بالأحرى يلزمه أن يكون

(1) سفر التكوين - 16 : 12 .

(2) سفر التكوين - 27 : 40 .

(3) الطريف أن الباحث في تاريخ الأمم والشعوب ليس بواجد أمة - لا في الشرق ولا في الغرب - إلا وتجزم بأنها خير الأمم وأرفعها شأنًا ، اصطفاها الله من دون العالمين !

مستعداً لمواجهة ملك الملوك ، العالم بأسرار الصدور وخفايا الأمور ؟ ففي هذه القضية ليست تفيده آية استشارة ، وإنما لا يُدافع عنه ويرافع إلا التوبة والتقوى وأعمال البرّ . لذلك ، فعلى الإنسان أن يراجع أعماله ويتوب عن خطاياہ ، قبل حلول يوم الدينونة . وفي شهر «إيلول» ٥٧٧٨ (سبتمبر) عليه أن يضع نفسه أمام مسؤولية العدالة الرهيبة التي تترصّ بالبشرية كلها .

وهذا هو العيد الذي غفر فيه الربّ لليسرئيليين الذين صنعوا الشرّ بعبادة العجل المسبوك . وفيه أمر موشيه بالصعود ثانية إلى الجبل ليعطيه لوحاً آخر ، بعدما كسر الأول . فهكذا يقول الحكماء : «قال الربّ لموشيه في شهر إيلول : «إصعد إليّ إلى الجبل»<sup>(1)</sup> ، فصعد موشيه وتلقّى اللوح الثاني في ختام الأربعين يوماً . وقبل صعوده أمر بنفخ البوق عبر المخيم» . ومُنذ ذيك الحين ، جرت العادة بنفخ الشوفار (البوق) في الكُنس ، لتحذير الناس بأن يوم الحساب في السنة الجديدة يقترب بسرعة ، ومعه يوم الدينونة . ولذلك ، تُتلى صلوات الاسترحام مرتين في كل يوم صباحاً ومساءً ، اعتباراً من اليوم الثاني من إيلول وحتى عشية يوم الغفران ، وهذه الفترة تتضمن الأربعين يوماً الأخيرة التي قضاها موشيه في سيناء<sup>(2)</sup> ، عندما رضي الله عن بني يسرئيل ، وغفر لهم خطيئة الشرك بعبادة العجل المسبوك .

قال الرّابي إليعيزر : «وُلد أبرهّام ويعقوب في شهر تشري ، وفيه ماتا . وفي اليوم الأول من تشري تمّ خلق الكون ، وخلال عيد العبور وُلد يصحاق . وفي أول تشري (رأس السنة) تذكّر الله النسوة العاقرات الثلاث : ساراه ، وراحيل ، وحنّاه . وفي اليوم الأول من تشري وُضع عن أجدادنا كدّهم الشاقّ بأرض مصر . وفي أول تشري خُلِق آدم ، ومن بداية خلقه نحتسب سنين تقويمنا ، أي مُنذ اليوم السادس للخليقة . وفي ذلك اليوم أيضاً أكل من الثمرة المحرّمة ، ولذلك فهو العيد المعين للتوبة والتوايبن ، حيث قال الربّ لآدام : «هذه تكون علامة للأجيال التي تأتي ، ففي هذه الأيام يُدان نسلُك ، وفيها تكون التوبة والغفران» .

(1) انظر سفر الخروج - 24 : 12 .

(2) انظر سفر الخروج - 24 : 18 .

هذا وإن الربَّ يُعلن أوامره أربع مرّات في السنة :

فأولاً : في رأس السنة ، باليوم الأول من تشرّي . فيه يؤمر بمحاسبة نفوس البشر جميعاً عن السنة القادمة .

ثانياً : في اليوم الأول من عيد العبور . فيه يُعيّن في القَدَر مدى إِمحال غلال الحُبوب أو وفرتها .

ثالثاً : في عيد الحَصَاد . فيه يُبارك الربَّ ثمار الأشجار ، أو هو يأمرها بالألّا تحمّل إلا لتماماً .

رابعاً : في عيد المظالّ . فيه يقرّر الربّ إن كان المطر سيبارك الأرض في موسم أم لا<sup>(1)</sup> .

ويُدان الإنسان في يوم رأس السنة ، ثم يصدر عليه الحُكم مُبرماً في يوم الغُفران . غير أن الرّابي ناتان قال إن الإنسان يُدان في جميع الأوقات .

وكان الرّابي عَقيبا يعلم تلاميذه : «لَمَ تأمر الشريعة في عيد العبور بتقديم حزمة من الشعير ؟ لأن عيد العبور هو موسم حصاد الحُبوب . فالربّ يقول : «قدموا لي حزمة شعير في يوم العبور ، أبارك لكم القمح الذي في الحقل» .

«ولماذا في الكتاب : «وعيد الحَصَاد أباكرا غلاتك التي تزرع في الحقل»<sup>(2)</sup> ؟ هذا لأنه في وقت عيد الحصاد تنضج الثمار ، والله يقول : «قدم لي رغيفين من أباكرا القمح ، أبارك لك الثمر الذي على الشجر» .

(1) يرى الباحثون أن أصول اليهودية متأثرة بأديان الشرق القديم الوثنية الحلوئية ، المتمحورة في الزراعة والحياة الرعوية . فيلاحظ هنا : غلال الحبوب ، ثمار الشجر ، كمية المطر . ولا ننسى أن البعل (الخصم الأكبر للتوحيد اليهودي والأقدم منه) كان إلهاً زراعياً للمطر والخصب ، بينما كان أبوه إيل للخلق والبركة (على سذاجة تفكير الكهنة) . ومن المثير أن اسم البعل ما زال حياً في بلاد الشام كلها : «أرض بعل ، تين بعل» ، ومؤخراً سمعنا في قرى جبال اللاذقية (موطن الكنعانيين القدامى أبناء «أجريت») عبارة تعجب رائعة : «أيلي» (بمد الباء الأخيرة وإمالتها بلهجة كنعانية الساحل) ، تدلّ بوضوح صارخ على اسم الإله الأب إيل ، الذي ما برح لليوم في الآرامية والعبرية : 5A .

(2) سفر الخروج - 23 : 16 .

«ولماذا أمرنا بتقديم قربان شراب من الماء إلى الهيكل في عيد المظال؟ لأن عندها يكون موسم المطر<sup>(1)</sup>، والرَّب يقول: «قدم لي مقدمة الشَّراب من الماء، أبارك لك مطر هذا العام».

«ولماذا يصنعون البوق الذي يُنفخ فيه من قرن الكبش؟ لكي يذكر الرَّبَّ الكبش الذي ضحِّي به بدلاً من يصحاق، ويسمح لكرامة الأجداد الصَّالحين أن تزن لصالح نسلهم، كما هو مكتوب في الوصايا العشر: «وأصنعُ إحساناً إلى ألوف من مُحبِّي وحافظي وصاياي» (خروج 20: 6)<sup>(2)</sup>.

في يوم رأس السنة تُتلى في الكُنُس عُهود الميثاق الذي كان أعطي ليصحاق للسبب ذاته. ففيما هناك لدى الله رحمةٌ بعباده، فهو يسمح لهم بفرصة للتوبة لئلا يهلكوا في شرورهم، فلذا علينا كما هو مكتوب في مرثي يرميا (3: 40) أن «نفحص طُرُقنا وتمدحنها ونرجع إلى الرَّب».

خلال السنة يكون الإنسان ميالاً إلى الفُجور والتَّمادي في معاصيه، ولذلك يتم نفخ البوق لردِّه إلى رشده وتنبهه إلى الوقت الذي يمضي بسرعة. فيقال له: «انهض من سباتك، فإن ساعة العقاب تدنو». فالله الأزلي لا يرغب بإهلاك أبنائه، بل بمجرد دفعهم إلى التوبة وحسن المآب.

وثمة ثلاثة صنوف من البشر يُحضرون للدينونة: الصَّالحون، والأشرار، والمُهملون. فأما الصَّالحون فإن الله يُشبههم حياةً مُنعمه، وأما الأشرار فيُدِينهم، وأما المُهملون فهو يُمهلهم. ومن يوم رأس السنة إلى يوم الغُفران يُمسك عن إجراء حُكمه، فإن هم تابوا حقاً يدخلون في زُمرة الصَّالحين وتجاوز لهم الحياة الطيبة. لكنهم إن بقوا على حالهم يُحسبون عندها من الأشرار.

(1) التشابه تام بين مقدمة قربان عيد سكوت الذي يبدأ في 15 تشرين الأول (أكتوبر) وبين عيد قربان الماء لدى الكنعانيين، فكانوا في الفترة ذاتها يقومون بشعيرة سكب الماء في جرن مقدس يقع على قمة جبل حرمون - أعلى قمة في جنوب سورية - ليبارك بعل حرمون المطر ونبع الأعوج وغدرانه. وعلى القمة إلى اليوم آثار معبد وثني (قصر عتتر) كان به كتابة يونانية قديمة استلها أثاري إنكليزي لصالح جمعية P.E.F. عام 1880.

(2) انتهى كلام الرَّبِّي عقيبا.

وثمة ثلاثة أصوات للْبوق يُعبّر عنها في الكتاب المقدس : فالصّوت الأول صوت رَخيم (تقيعاه תקיעה) <sup>(1)</sup> ، والثاني صوت تحذير أو وعيد مُرتجف (ترُوعاه תרועה) <sup>(2)</sup> ، ثم الثالث صوت رَخيم من جديد (تقيعاه תקיעה) .

فالصّوت الأول يمثّل الصّحوة الأولى للإنسان نحو التوبة ، ولذا عليه أن يختبر قلبه جيداً ويتخلّى عن طُرقه الشرّيرة وأن يُنقي سريره ، كما هو مكتوب : «ليترك الشرّير طريقه ورجل الإثم أفكاره ، وليتّب إلى الرّبّ فيرحمه» <sup>(3)</sup> .

أما الصّوت التحذيري فيمثّل الأسف الذي يشعر به الإنسان النادم على سوء مسلكه ، وعلى عزمه الصادق على العودة إلى جادة الصّلاح .

والصّوت الأخير هو الصّوت الرّخيم من جديد ، الذي يمثّل رغبةً مُخلصة في الإبقاء على القلب التائب مجرداً من الذنوب .

والكتاب المقدس يقول لنا : «بل الكلمة القريبة منك جداً وفي قلبك لتعمل بها» (تثنية 30 : 14) . فتعلّمنا هذه الآية أن التوبة هي أقرب إلى المؤمنين بالله وكتابه ممّا يدعيه المتزمتون . فثمة كفارات عسيرة يفرضها هؤلاء المتزمتون على المذنب بينهم : فعليه صيام أيام عدّة ، أو أن يمشي حافياً على دروب وعرة ، أو أن يبيت الليل في العراء . ولكن في الحقيقة ليس مطلوباً منا أبداً أن نطال قاع المحيط أو نرتقي قمم الجبال ، حيث أن كلمة الله المقدّسة تقول لنا : «ليست هي في السّماء ولا هي في عبر البحر ، بل الكلمة قريبة منك جداً» <sup>(4)</sup> .

هذا ويُمكن لنا القيام بالتوبة عبر هذه الطرق التالية :

أولاً : لفظاً بالكلام ، الصّادر عن قلب سليم .

ثانياً : بمشاعرنا المُفعمّة بالأسى على ما اقترفناه من ذنوب .

ثالثاً : بصالح الأعمال في تالي الأيام .

(1) منها المُفردة العبرية : תקלא תיָע : التّفخ في الصّور .  
(2) مثال ذلك في العبريّة : תרועות הצלצלה تروعت هصّوصراه : صوت البوق .  
(3) سفر يشعيا - 55 : 7 .  
(4) سفر التثنية - 30 : 12 .

أعلن الرّأبي سعدياه أن الله أمرنا بالنّفخ في البوق يوم رأس السنّة لعشرة أسباب ، هي :

أولاً : لأن في هذا اليوم كانت بداية الخلق ، عندما بدأ حكم الله على الكون والخلقة ، فيما أنه من المألوف نفخ الأبواق لدى تنويع ملك ما ، علينا بالطريقة ذاتها أن نُعلن بصوت البوق أن الخالق هو مَلِكُنَا ، كما قال داود : «بالأبواق وصوت الصُّور اهتفوا قُدّام المَلِكِ الرَّبِّ»<sup>(1)</sup> .

ثانياً : بما أن يوم رأس السنّة هو أول أيام التّوبة العشرة ، فنحن نقوم بنفخ بوق الشُّوفار كدعوة لِحْتِ الجَمِيعِ على الأوبة إلى الله والتّوبة إليه . فحتّى لو لم يفعلوا ، فهم على الأقل قد نالوا تحذيراً ، ولا يمكن لهم أن يحتجّوا بمبرّر الجهل . وعلى النّحو ذاته ، نرى أن ملوك الدّنيا يُعلنون أوامرهم ومراسيمهم ضمن هذا الإجراء أصولاً ، لثلاثاً يقول قائلٌ من النّاس : «لا عِلْمَ لنا بهذا» .

ثالثاً : ليذكّرنا بالشرّعة التي نزلت في جبل سيناء ، حيث يُقال : «وصوتُ بوق شديد جداً» וְקוֹל שֹׁפָר חָזק מְאֹד (سفر الخروج 19 : 16) . وأيضاً لكي يذكّرنا أن علينا تجديد العهد على أنفسنا بتنفيذ وصاياها ، كما فعل أجدادنا فقالوا : «كلّ ما تكلم به الرّبّ نفعل»<sup>(2)</sup> כֹּל אֲשֶׁר דִּבֶּר יְהוָה נַעֲשֶׂה .

رابعاً : لكي يذكّرنا بالأنبياء ، الذين يُشبّهون بالرّقباء الحارسين الذين ينفخون في بوق التحذير ، كما نجد في سفر يَحزَاقِييل (33 : 4) : «فإذا سمع السّامع صوت البوق ولم يتحدّر فجاء السيّف وأخذه ، فدّمه يكون على رأسه . وأمّا من يتحدّر فيخلص نفسه» .

خامساً : ليذكّرنا بخراب الهيكل وصيحات الحرب المرعبة التي يُطلقها عدوّنا : «لأنك سمعت يا نفسي صوت البوق وهتاف الحرب» (يرميا 4 : 19) . لذلك ، فإنه يتوجّب علينا عندما نسمع صوت الشُّوفار أن نتوسّل إلى الله لإعادة بناء الهيكل .

(1) مزامير داود - 98 : 6 .

(2) سفر الخروج - 19 : 8 .

سادساً : ليدكرنا بعهد يصحاق ، الذي قدّم نفسه قُرباناً للأضحية عن طيب خاطر ، تمجيداً لاسم الله القدّوس .

سابعاً : عندما نسمع صوته المرعب ، قد يدفعا ذلك من جرّاء الخوف إلى التواضع أمام سيّد الكون ، لأن من طبيعة هذه الآلات الحربيّة التسبّب في شعور بالرعب ، كما لاحظ النبي عاموس لا١١٥ : «أم يُضْرَبُ بالبوق في مدينةٍ والشعبُ لا يرتعد؟»<sup>(1)</sup> .

ثامناً : لكي يذكّرنا بيوم الدّينونة العظيم والرّهيب الذي يُنفخ فيه بالصّور ، كما نجد في سفر صفّياها (1 : 14-16) : «قريبٌ يومُ الرّبِّ العظيم ، قريبٌ وسريعٌ جداً ، يومٌ بوقٍ وصوتٌ نُفير<sup>(2)</sup>» «וּם שׁוֹפֵר וּתְרוּעָה .

تاسعاً : لكي يذكّرنا بأن ندعو لحلّول أوان الوقت الذي يُجمع فيه منبوذو بني يسرّئيل سويّاً ، كما هو موعود في سفر يشعّياها : (27 : 13) : «ويكون في ذلك اليوم أنه يُضْرَبُ ببوقٍ عظيم ، فيأتي التائهون الهالكون في أرض أشور» .

عاشرأ : لكي يذكّرنا بقيامة الأموات ، وبإيماننا التامّ بذلك . يقول النبي يشعّياها<sup>(3)</sup> : «يا جميع سكّان المسكونة وقاطني الأرض ، عندما ترتفع الرّاية على الجبال تنظرون ، وعندما يُضْرَبُ بالبوق تسمعون!» .

لذلك كلّه ، علينا أن تبقى قلوبنا مُعلّقة بهذه الأعياد ، وأن نطبّق الوصيّة التي تأمرنا بها التوراه ، كما هو مكتوب<sup>(4)</sup> : «هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرّبّ إله آبائك ، لتمتلكها كلّ الأيام التي تحيون على الأرض» .

\*\*\*

(1) سفر عاموس - 3 : 6 .

(2) في الترجمة العربيّة : «يومٌ بوقٍ وهُتافٍ» ، وهذا غلط فالمفردة العبرية תְרוּעָה «تروعاه» تعني : صوت النفخ في البوق ، تقدّمت ص 373 .

(3) سفر يشعّياها - 3 : 18 .

(4) سفر الشّنية - 11 : 32 ؛ 12 : 1 .

## عيد يوم الغُضْران (يوم كيور) יום כיפור

من الطبيعي أن قلوب كل مَنْ يخافون الله ينبغي أن ترتجف لدى تصوّر فكرة أن جميع أعمال النَّاس يدري بها الخالق تمام الدَّرَاية ، وأنها سوف تُحتسَب عليهم خيراً أم شراً . غير أن الله على الدوام جاهز لقبول التوبة الصادقة . ولهذه التوبة درجاتٌ سَبْع ، هي :

أولاً : توبة الإنسان الصَّالِح ، الذي يتوب عن خطئه بمجرد أن يُدرك ذنبه . فهذه التوبة هي خير الدَّرجات وأتمها كمالاً .

ثانياً : توبة الإنسان الذي عاش بعض الوقت حياةً مَعْصية ، لكنه في أيام قُوْرَة شبابه يتخلّى عن طُرُقهِ الشَّرِّية ، ويكبح في نفسه مُيوله الفاسدة . كما قال شلومو : «فاذكُرْ خالِقَكَ في أَيّامِ شبَابِكَ» وَذَكَرَ أَمْرَ بَوْرَايْך בְיָמֵי בַחֹרְתֶיךָ (الجامعة 12 : 1) . فبادر إذاً بترك طُرُقكَ الشَّرِّية إِيّان قُوْرَة حياتك .

ثالثاً : توبة الإنسان الذي حالَ سببٌ ما دونه واقرّاف ذنب كان ينويه ، ثمّ أحسّ حقاً بالندم على نيّته الخبيثة . يقول صاحب المزامير : «طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَّقِي الرَّبِّ»<sup>(1)</sup> . ولكن أيراد به الرَّجُلُ دون المرأة ؟ بل البشر أجمعهم ، لكن الكلمة المُستخدمة تفيد معنى القُوْرَة ، أي مَنْ يتوبون إِيّان شبابهم وقُوْرَة حياتهم .

رابعاً : توبة الإنسان الذي تكون مَعْصِيَتُهُ في حقِّ نفسه ، فيُوْبَخ عليها ، كما في مثال أهل نينوى ، إذ أنهم لم يتوبوا حتى توجّه إليهم يُوناه مُنذراً : «بعد أربعين يوماً تنقلبُ نينوى»<sup>(2)</sup> . وكان أهل نينوى يؤمنون برحمة الله ، فرغم أن أمر الله قد صدر في حقّهم لم يُشْهِم ذلك عن المُبادَرة إلى التوبة . «فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه»<sup>(3)</sup> .

(1) مزامير داود - 112 : 1 .

(2) سفر يونا - 3 : 4 .

(3) سفر يونا - 3 : 10 .

ولذلك فإن الحاخامين يقولون : «يا أيها الإخوة ، لا تُبس المسوح ولا الصيام يعودان بالمغفرة على الذنوب ، وإنما يكون ذلك بتوبة القلب وبإداء صالح الأعمال ، فلم يُذكر عن أهل نينوى أن «الله رأى صيامهم ومُسوحهم» ، بل «رأى الله - أعمالهم - أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة» .

خامساً : توبة مَنْ يتوبون إن هُمْ مَسَّهُمُ الضَّرُّ . فكم يتَّسم قبول توبة هؤلاء بالنُّبل بما يسمو كثيراً عن طبيعة البشر ! مثال ذلك قصة يفتاح الجلعادي : «أما أبغضتموني أنتم وطرتموني من بيت أبي ، فلماذا أتيتم إلي الآن إذ تضايقتُمْ؟» (سفر القضاة 11 : 7) . غير أن الرَّحمة اللامحدودة لإلهنا تتقبَّل حتى مثل هذه التوبة ، كما هو مكتوب : «عندما ضيَّق عليك وأصابتك كل هذه الأمور . . . ترجع إلى الرَّبِّ إلهك»<sup>(1)</sup> . وعلى هذا المبدأ وُضع مثل الآباء الشائع : «التوبة وصالح الأعمال درعٌ واقٍ دون البَلوى والعقاب» .

سادساً : توبة الطَّاعن في السَّنِّ . فحتى إن بلغ الإنسان أرذل العُمر وغدا ضعيفاً واهناً ، ثم تاب من قلبه ، فإن توبته تُقبَّل . كما يقول صاحب المزامير<sup>(2)</sup> : «تُرجع الإنسان إلى العُبار ، وتقول : «ارجعوا يا بني آدم» ، بمعنى أن الإنسان بإمكانه الرَّجوع في أي وقت أو بأي عُمر : «ارجعوا يا بني آدم» .

يقول الحاخاميم : «حتى وإن كان الإنسان صالحاً في شبابه وقوته ، لو أنه عصى أوامر الله في شيخوخته فإن فَضْل صلاحه السَّابق يزول عنه ، كما هو مكتوب : «إذا رجع البارُّ عن برِّه وعمل إثمًا ، ومات فيه ، فيأثمه الذي عمله يموت» (يُحزِّقئيل 18 : 26) . غير أن الإنسان الذي كان شريراً في مُقتبَل عُمره ، ثم شعر بندم حقيقي وتاب في أواخر عُمره ، لا يعود «شريراً» بعدها . ولكن هذه التوبة مع ذلك ليست بمحمودة إن هي تأخرت كثيراً» .

سابعاً : وهي آخر درجات التوبة والمغفرة : توبة مَنْ يكون عاصياً لخالفه طوال أيام حياته ، ثم يرجع إليه عندما تمتد إليه يدُ الموت .

(1) سفر الشنية - 4 : 30 .

(2) مزامير داود - 90 : 3 .

يقول الحاخاميم إن كان كمةً امرؤً مريضاً ودت ساعة موته ، فعلى الحضور أمام سرير موته أن يقولوا له : «اعترف بذنوبك أمام خالقك» .

فينبغي لمن كان مشرفاً على حتفه أن يعترف بذنوبه وتقصيره . وما المريض المحتضر إلا كرجل يقف أمام محكمة مقامة لإحقاق العدل ، فإن كان لهذا الأخير مُحامون يترافعون عنه ويُرَكِّون دعواه ، فليس للأول ما يُحامي عنه إلا التوبة وصالح الأعمال . كما هو مكتوب في سفر أيوب : (33 : 23-24) : «إن وُجد عنده مرسلٌ وسيطٌ واحدٌ من ألف ، ليعلن للإنسان استقامته ، يترافع عليه ويقول : «أطلقه عن الهبوط إلى الحفرة ، لقد وجدتُ فديةً» .

وعلى ذلك ، لدينا سبع درجات من التوبة والتكفير عن الذنوب ، فمن يُغفلها جميعاً عليه أن يُلاقى العذاب في الآخرة . لذلك فقم بالواجبات الملقاة على عاتقك ، وتب طالما كان المجال أمامك متاحاً لإصلاح ما أسأت به . كما يقول الحاخاميم : «تب وإن حضرك الموت ، قبل أن تصير إلى رمسك» .

وكان النبي يُحزقئيل يُنادي مُندراً : «يا بيت يسرئيل ، توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ، ولا يكون لكم الإثم مهلكة»<sup>(1)</sup> «بيت ישראל شوبו והשיבו מכל-פשעליכם ולא יהיה לכם למכשול עון: فماذا يعني هذا الإنذار؟ يعني أنه بغير التوبة سوف تموتون .

ولقد تم تصوير مسألة التوبة بهذه الحكاية :

يُحكى أنه كانت هناك سفينة كبيرة تُبحر عدة أيام في عرض المحيط ، وقبل أن تبلغ وجهتها المنشودة هبت عليها ريحٌ وأنواءٌ عاتية حَرَفَتْها عن مسارها ، إلى أن تهادت في النهاية بالقرب من جزيرة بهيئة المنظر ، فأرساها بحارتها عندها . وكانت في هذه الجزيرة تنمو أصناف الأزاهير والأقاحي الفواحة الخلابة والفواكه اللذيذة بـ«إسراف بالغ» ، أما الأشجار الباسقة فكانت تُلقي بظلالها الوارفة الماتعة على جنبات المكان ، الذي بدا لركاب السفينة بأبلغ ما تشتهيهِ النفس من الإمتاع والراحة .

(1) سفر يُحزقئيل - 18 : 30 .

وانقسم هؤلاء الركاب إلى خمسة فرق : فقررت الفرقة الأولى منهم عدم مغادرة السفينة ، قائلين : «لعلّ ريحاً مواتية تهبّ ، ويمكن سحب المرساة وتتابع السفينة إبحارها ، فتترك وراءها مخلّفين . لسنا نريد المخاطرة بفقدان الوصول إلى وجهتنا من أجل المتعة المؤقتة المتاحة على هذه الجزيرة» . بينما مضت الفرقة الثانية إلى الشاطئ لبعض الوقت ، فاستمتعت بعطر الأزاهير ، واستطابت مذاق الفواكه ، وعادت إلى السفينة مغتبطة وقد ساورها النشاط ، فوجدت أماكنها على حالها ولم تفقد شيئاً ، إلا أنها اكتسبت على صعيد الصحة وطيب النفس شيئاً كثيراً من جراء الاستجمام في زيارة الجزيرة .

أما الفرقة الثالثة فزارت كذلك الجزيرة ، لكنها بقيت طويلاً حتى هبت الرياح المواتية ، ولما يبلغوها إلا بالكاد وكان بحارتها آخذين في سحب الأنجر (المرساة) ، وفي خلال عجلتهم وفوضى اندفاعهم فقد الكثير منهم أماكنهم ، ولم ينعموا بالراحة خلال تنمة الرحلة كما كان الأمر في بدايته . لكنهم مع ذلك كانوا أكثر تعقلاً من الفرقة الرابعة ، فلقد مكث هؤلاء الأخيرون على متن الجزيرة طويلاً جداً ، وانغمسوا حتى الثمالة في متعتها ، وتركوا جرس التحذير في السفينة يُجلجل دون أن يُلقوا إليه بالآ . وقالوا : «ها هي ذي الأشرعة ما زالت لم تُنشر بعد ، فبوسعنا أن نعرف من المتعة المزيد لبضع لحظات أخرى» . وراح الجرس يجلجل من جديد ، لكنهم مكثوا متوانين مُتباطئين ، وقالوا في أنفسهم : «لا شك أن الرّبان لا يُبحر دوننا» . لذا فقد مكثوا على الشاطئ حتى أبصروا السفينة تتحرك ، فما كان منهم إلا أن هبوا بعجلة طاغية وسبحوا بإثر السفينة وراحوا يتسلقون جوانبها ، فمن جرّاء ذلك أصيبوا بقروح وخدوش لم يُشفوا منها في غضون بقية الرحلة .

أما الفرقة الخامسة ، فيا حسرة عليها ! راح أولئك يأكلون ويشربون ويعمّهون في الملذّات والملاهي ، إلى درجة أنهم لم يسمعو صوت الجرس ، ولما انطلقت السفينة خلفتهم وراءها . وراحت الوحوش الضارية المختبئة في الأدغال الكثيفة تصطادهم وتفترسهم ، وأما من نجا منهم من هذه البلية فقد هلك من قرط التُّخمة .

فأما «السفينية» فهي أعمالنا الصالحة التي نحملنا إلى وجهتنا ، أي الآخرة . و«الجزيرة» تمثل متع الحياة الدنيا ، التي أحجمت المجموعة الأولى من الركاب عن تذوقها أو النظر إليها ، ولكنها عندما يُستمتع بها - كما فعلت الفرقة الثانية - فهي تجعل حياتنا مريحة مائعة ، دون التسبب لنا في إهمال واجباتنا المفروضة . غير أن هذه المتع ينبغي ألا يُسمح لها أن تستولي على نفوسنا وملكاتنا بأكثر مما ينبغي . والواقع أن بوسعنا الرجوع والعودة - كما فعلت الفرقة الثالثة - فيما يكون الوقت لا يزال متاحاً ، وإن كان الثمن بعض الخسران ، أو حتى كالفرقة الرابعة التي لم تتم لها النجاة إلا في الرّمق الأخير ، مع كثير من الكدمات والجروح التي لا يمكن أن تُشفى بالكامل . لكننا نبقى في خطر دائم بأن نبيت كالفرقة الأخيرة ، فنمضي حياتنا بأسرها ونحن نلهث وراء الباطل والتفاهات ، ناسين المستقبل ، فنهلك حتى من السّم المستتر ضمن الأطياب التي تُغويننا .

فمن هو المستحق للأسى ؟ ومن هو البائس ؟

ذلك هو من يترك لورثته ثروة طائلة ، ويأخذ معه إلى قبره عبثاً ثقيلاً من الذنوب . ومن يجمع الثروة بغير حق ، «مُحصّل الغنى بغير حق» ، في مُتصف أيامه يتركه» (يرميا 17 : 11) . وعند أبواب دار الخلود لا يُمكن للذهب أو للفضة أن تُرافق رُوح الإنسان ، بل إن الأعمال الصالحة والإيمان بالله هي التي تكون دليلاً لروحه إلى النجاة .

ورغم أن الله رؤوفٌ رحيم ويغفر ذُنُوب الإنسان المُسيء بحقه ، فإن من يُسيء إلى جيرانه وإلى الناس عليه أولاً أن يتحصّل على مغفرة جيرانه والناس من قبل أن يطلب مغفرة الرّب<sup>(1)</sup> . قال الرَّابِي إِيْعِيزِر<sup>(2)</sup> : «هذا ما ينبغي لكم فعله ، كما هو مكتوب : «لتطهيركم من جميع خطاياكم أمام الرّب» (ليوِين 16 : 30) . ففي يوم الغُفْران تُتاح المغفرة لذُنُوب الإنسان تجاه باربه ، ولكن ما خلا الذُنُوب الواقعة على الناس ، فتلك بحاجة إلى تنازلهم أولاً» .

- (1) هذه القاعدة الشرعية موجودة بشكل مُشابه تماماً في الإسلام .  
(2) كان هناك اثنان من مشاهير الحاخاميم بهذا الاسم : إِيْعِيزِر بن شمعون (إِيْعِيزِر الكبير) ، وإِيْعِيزِر بن عازوريا . والأول كان مُعلماً للثاني .

فإن طُولبَ إنسانٌ بالصَّفْحِ عن أخيه الإنسان ، عليه أن يفعل ذلك عن طيب نفس ، وإلا فكيف يجرؤ في يوم الغُفران على طلب المغفرة على خطاياہ تجاه الله الأزلي ؟ ولقد جرت العادة في هذا اليوم للإنسان أن يطهّر نفسه كلياً ، جسدياً وروحياً ، وأن يرتدي ثياباً بيضاء نظيفة ، ليمثّل بذلك كلام النبي يشعياہ : «إن كانت خطاياكم كالقِرْمِزِ تبيضُ كالثلج»<sup>(1)</sup> .

\* \* \*

يُحكى أن عمدة إحدى المُدن أرسل في إحدى المرّات خادمه إلى السّوق لشراء بعض السّمك . فلمّا وصل المذكور إلى موضع السّوق وجد أن السّمك قد بيع كله إلا واحدة ، وكان ثمة خياط يهودي على وشك شراء هذه السّمكة المُتبقية الوحيدة . فقال خادم العمدة : «أدفعُ بها بها قطعة ذهبية» ، فقال الخياط : «فأنا أدفع اثنتين» . فأبدى رسول العمدة عندها استعدادَه لدفع ثلاث قطع ذهبية بها ، غير أن الخياط تمسك بالسّمكة ، وقال إنه لن يتخلّى عنها ولو اضطّره الأمر لدفع عشر قطع ذهبية ثمناً لها . فما كان من خادم العمدة إلا أن عاد إلى الدار ، وروى لسيده مُجريات الأمر وهو يتميّز غيظاً . فأرسل العمدة في طلب الرّجل الذي يُعدّ واحداً من رعيّته ، فلمّا مثل هذا الأخير أمامه سأله :

«ما هي صنعتك ؟» .

أجاب الرّجل : «أنا خياط يا سيدي» .

«إذا كيف يمكنك أن تدفع ثمناً باهظاً في سمكة ، وكيف تجرؤ على إهانة كرامتي من خلال عرض مبلغ أكبر ممّا عرضه خادمي ؟» .

أجاب الخياط : «إني أصومُ غداً ، فلذا رغبتُ بالسّمكة لآكلها اليوم ، فأتقوى بها على صيام الغد . ولم أكنُ مستعداً للتخلّي عنها ولا مُقابل عشرة قطع ذهبية» .

سأل العمدة : «فما فضلُ يوم الغد على سواه من سائر الأيام ؟» .

(1) سفر يشعياہ - 1 : 18 .

أجاب الرَّجُلُ : «فما هو فضلُك على سائر الرِّجال؟» .

«بأن المَلِكَ قد عَيَّنني لهذا المنصب» .

أجاب الخياطُ : «إذا فلتعلم أن مَلِكَ الملوِك قد عَيَّن هذا اليومَ أقدسَ من كلِّ الأيام الأخرى ، حيث أننا في هذا اليوم نرجو الله أن يغفر لنا خطايانا» .

أجاب العُمدةُ : «إن كان الأمر كذلك فأنتَ على حق» . وانصرف السيركيلي لشأنه آمناً مطمئناً .

فهكذا إن نوى الإنسان طاعة الله ، لا شيء يُشبهه عن مقصده . في هذا اليوم أمر الله أبناءه بالصيام ، لكن عليهم أن يقووا أجسادهم على طاعته بأن يأكلوا في اليوم السابق له . فمن واجب الإنسان أن ينقي نفسه ويطهرها جسدياً وروحياً ، مع اقتراب يومه الأكبر . وإن عليه أن يكون تام الاستعداد للمُشول في آية ساعة أمام الحضرة الإلهية الجبارة ، متخذاً التوبة وصالح الأعمال خير رفيق له .

كان لرجل ثلاثة رفاق ، وكان يحب أحدهم محبةً جمّة ، وكان يحب الثاني أيضاً إنما ليس بدرجة الأول ، أما تجاه الثالث فلم يكن شعوره مبالياً .

فجری أن ملك البلاد أرسل مقدماً إلى هذا الرَّجُل ، يأمره بالحضور فوراً أمام العرش . فارتعدت فرائص الرَّجُل للأمر ، وحسب أن بعض الناس قد تكلم باطلاً في حقه ، أو لربما افتري عليه تُهمة زور أمام ملكه ، ولما خشي من المُشول بمفرده أمام الحضرة الملكية ، فقد ارتأى أن يطلب من أحد رفاقه أن يذهب معه . فأولاً ، بطبيعة الحال طلب ذلك من أعز رفاقه ، لكن هذا أحجم على الفور عن الذهاب ، دون أن يقدم عُذراً أو سبباً لقلّة وفائه . فما كان من الرَّجُل إلا أن طلب ذلك من رفيقه الثاني ، الذي قال له :

«سوف أذهب معك إلى حدّ بوابة القصر ، ولكنني لا أدخل معك أمام

الملك» .

فلما اعتراه اليأس طلب الأمر ذاته من رفيقه الثالث الذي كان مُهملاً شأنه ،

فإذا به يجيبه على الفور :

«لا تخشَ شيئاً ، فأنا ذاهبٌ معك وتراني أتكلّم في حقك بكل خير ، ولا أتركك وحيداً حتى تنجلي عنك غمّتك هذه» .

فأمّا «الرّفيق الأول» فهو ثروة الإنسان ، التي ينبغي له أن يخلّفها وراءه عندما يموت . و«الرّفيق الثاني» يتمثّل بالأقارب الذين يتبعونه إلى القبر ويتخلّون عنه بعدما يُهال على جثمانه التراب . وأمّا «الرّفيق الثالث» الذي دخل معه إلى حضرة الملك فهو بمثابة الأعمال الصالحة خلال حياة الإنسان ، التي لا تتخلّى عنه أبداً ، بل تصاحبه وتشدّ من أزره أمام ملك الملوك ، الذي لا يُقيم لأحد مهابةً ولا يأخذ من أحد رشوةً .

وكان الرّابي إلعيزر يعلم تلاميذه بما يلي :

«في هذا اليوم العظيم والرّهيب لا يجد الملاك «سّمال» (الرّقيب) أي حوّب أو ذنب يشوب بني يسرائيل ، فيخاطب العليّ القدير قائلاً :

«أيّها الملك الرّبّ ، على وجه الأرض في يومنا هذا ثمة شعبٌ مُطهّر ومُبرّأ ، وبنو يسرائيل هم كالملائكة في يوم الغفران . وكما يحلّ السّلام في السّموات فهو يحلّ الآن عند هذا الشعب ، المُسبّح باسمك القدّوس» .

«فيستمع الله لهذه الشّهادة من ملاكهِ ، ويغفر لشعبه كافةً خطاياهم» .

ولكن رغم أن الله العظيم يغفر لنا خطايانا على هذا النحو ، علينا ألا نعود فنقترفها من جديد ونظنّ بأننا مُحصّنون ، لأنّ من يقول : «لعلّي أرتكبُ لي ذنباً ثم أتوب» ليست له مغفرة ولا كفّارة» .

\* \* \*

## عيد المظال (حَجَّ هَسْكَوَت) חג הסכות

يبدأ عيد المظال في اليوم الخامس عشر من الشهر السابع «تشري» תשרי (أكتوبر) ، وخلال مدته البالغة سبعة أيام يؤمّر الإسرائيليون بالإقامة في المظال أو السقائف . ولقد تمّ وضع هذا العيد للإبقاء في ضمائرهم على ذكرى الخيام التي كانت لهم بمثابة البيوت خلال إقامتهم أربعين سنة في البرية . ورُموز هذا العيد هي سَعف النَّخيل ، التي تُربط بها عساليح الآس والصفصاف والأترج .

في هذا العيد نُؤمّر بالاحتفال والفرح ، لأن مشيئة الله لا ترتضي لنفوسنا الابتلاء على الدوام ، كما في عيده المُكرّم يوم الغفران . بل بعدما نكون قد خفضنا جناح نفوسنا وعدنا إلى خالقنا طائعين تائبين ، نُؤمّر بالاحتفال مع أسرنا وجيراننا . ولذلك فنحن ندعو هذا العيد بموسم احتفالنا .

لقد قال الرَّبّ : «لا يكون هذا لكم صوماً كيوم الغفران ، بل تأكلون وتشربون وتبتهجون فيه ، وتضحون بذبيحة السلامة» . والكتاب المُقدس ينصّ في مته على عبارة<sup>(1)</sup> : «سبعة أيام للرَّبّ» ، ولذا فعلينا في خضمّ بهجتنا أن نُكرّس له طرفاً صالحاً من تفكيرنا .

فهكذا يأمرنا الملك الكلّي القُدرة بأن نتقل من مساكننا الدائمة وأن نسكن سبعة أيام تحت السقائف . وهذه الوصيّة تعلّمنا أن الإنسان ينبغي ألا يركن كثيراً إلى البناء المهيب الذي قد يكون شيده ، وألا يستغرق في تزيينه بالزخارف المُكلفة ، وكذلك ينبغي له ألا يبذل ثقته بالكامل لبني البشر ، ولا حتى الحكّام في بلده . بل عليه الاعتماد كلياً على الله العظيم ، الذي قال : «ليظهر الكون إلى الوجود» ، فله وحده الحَوْل والقوة والسُلطان . وهو وحده الذي لا يتحوّل ولا يتبدّل ، ولا يكون أبداً غير ما صرّح عن نفسه ، كما هو مكتوب : «ليس الله إنساناً فيكذب» (سفر العدد 23 : 19) לא אֱלֹהִים אֱנוֹשׁ אֵל וְיִחְיֶה ، وهو وحده الذي يحفظنا من كلّ سوء .

(1) سفر الليوين - 23 : 34 .

وعيد المظالّ يحلّ في الخريف ، بعد أن يتمّ تخزين محاصيل الحقل في الأهرام ، تبعاً لكلمة الكتاب المقدّس : «تعمل لنفسك عيد المظالّ سبعة أيّام ، عندما تجمع من بيدرك ومن معصرتك» (تثنية 16 : 13) חג הסכת תעשה לך שבעת ימים באספך מגרנד ומיקבד .

ففي هذا الموسم ، عندما يرى الإنسان الوفرة حوله ، لربّما يأخذ بقلبه التّيه والكبر ، وقد يشعر أنه يُغني بيته ويُضفي عليه بذخاً ورونقاً . فلهذا السّبب يُؤمّر بمغادرته لبعض الموسم ، وبأن يسكن تحت السّقائف حيث تتوجّه أفكاره إلى الله ، ففي هذا السّكن المُقام بشكل غشيم وهزيل وغير المحمي من المطر ، يمكن له أن يتذكّر بأنه من خلال هذا المطر الذي أرسله العليّ القدير في أوان موسمه حصلت الوفرة في غلاله ، ومن خلال هذا التأمّل فهو يؤمن بحقيقة أن كلّ ما هو جارٍ في ملكه إنّما كان بفضل من الله ومنّته ، لا من جرّاء تدبيره هو وقوّته .

وهذه السّكنى في السّقائف من شأنها أن تُعيد إلى الدّهن الطريقة التي عاش بها اليسرّيّيون أربعين سنة بعدما غادروا مصر ، بمجرد جدران مؤقّته لتحميهم من حرّ الصّيف اللاهب وبرد الشتاء القارس ، ومن الرّياح والعواصف . وكيف كان الله معهم عبر أجيالهم كلّها وحفظوا من كلّ شرّ .

وحسب ما يرى بعض الحاخاميم لم يسكن اليسرّيّيون بالفعل في سقائف بالبريّة ، وإنّما أحيطوا بالغمّام ، بسبع غمامات تحديداً : أربع غمامات ففي كلّ جانب واحدة ، والخامسة ظلّ يقيهم حرارة الشّمس اللاهبة ، أما السادسة فعمودٌ من نار يُنير لهم في الليل (فكان في مقدورهم الرّؤية في الليل بالوضوح ذاته الذي في النّهار) ، والسّابعة كانت تسبق مسيرهم وتهدّهم إلى سّواء السّيل<sup>(1)</sup> .

وكان ارتحال بني يسرّيل من مصر في شهر «نيسان» ١٥١٧ (أبريل) ، ولقد عملوا هذه السّقائف على الفور ، فاستخدموها أربعين عاماً . وعلى ذلك كانوا يُقيمون في السّقائف على مدار العامّ بأكمله ، ولذا فكان من الممكن لنا تخليد ذكرى هذا الأمر إمّا في الرّبيع أو الخريف ، وإمّا في الصّيف أو الشتاء على حدّ

(1) قابل على التّوراه ، سفر الخروج - 13 : 21 .

سواء . فلماذا إذا عيّن الله الخريف موعداً لهذه الشّعيرة ؟ هذا لأننا إن أقمنا في السقائف بأيام الصيف ، تصبح المسألة مُلتبسةً بين أمرين : أنحن نفعل ذلك التزاماً منا بأمر الله ، أم نفعله لمسرّتنا وإمتاع نفوسنا ؟ ذلك بأن كثيراً من الناس يطلبون الانتجاع إلى البقاع الهويّة في هذا الفصل ، وأما في الخريف عندما تطرح الأشجار أوراقها ، ويُضحى الهواء بارداً قارساً ، ويكون قد حان أو ان إصلاح بيوتنا لفصل الشتاء ، إن نحن أقمنا في هذه المساكن المؤقتة فإنما يكون في ذلك إظهاراً أكيداً للرغبة في تنفيذ أوامر الخالق .

وعيد المظالّ هو أيضاً عيدٌ لجمع الغلال ، حين ينبغي لنا أن نحمد الله ونشكره على الكرم الذي عاملنا به ، والغنى الذي باركنا بالحصول عليه . فعندما يقدم الله الأزلي للإنسان قوته ، عليه في الأمسيات الطويلة التي تلي ذلك أن يتفكّر وأن يدرس كتابه المقدّس ، وأن يجعل من هذا العيد بالفعل «عيداً للرّب» ، وليس عيداً مقتصراً على مسرة النفس .

هذا وإن الأصناف الأربعة من مملكة النباتات التي تتخذها في هذا العيد يُقصد بها تذكيرنا بالعناصر الأربعة للطبيعة ، التي تعمل تحت توجيه ورضا العليّ القدير والتي بغيرها بنعدم وجود الكائنات والأشياء كافة . ولذلك فإن الكتاب المقدّس يأمرنا في «عيد الرّب» هذا بأن نتوجّه إليه بالحمد والشكر ، وأن نفرح أمامه بهذه الأصناف الأربعة ، وكلّ منها يمثّل واحداً من العناصر المذكورة .

يرد في الكتاب المقدّس (ليووين 23 : 40) : «وتأخذون لأنفسكم ثمر شجر الحمضيات» (هادر ٦٦٦ ، وهو هنا الأترج אֲתֵרֵג ) ، ولونه أصفر فاقع فيشبه النار . والصنف الثاني هو سَعفة التّخيل (في العبرية : לוּלֵאבֵּט ) ، والتّخيل شجرٌ مرتفع وينمو قائماً مُنتصباً في الهواء ، وثمرته حلوة ولذيذة الطعم ، فهذه إذاً تمثّل العنصر الثاني ، أي الهواء . أمّا الثالث فهو عُصن شجرة الآس אֲשֵׁרָה ، وهي من أدنى الشجيرات ارتفاعاً ، تنمو على ارتفاع واطئ من الأرض وطبيعتها باردة ويابسة كالتراب ، ممّا يجعلها ملائمة لتمثيل هذا العنصر . والصنف الرابع هو «صفصاف الوادي» אֲשֵׁרָה הַבְּרֵאִה الذي يكون خيرُ نموّ له بالقرب من الماء تماماً ، وأغصانه تتدلّى نحو الجدول ، فهو يمثّل بذلك العنصر الأخير ، الماء .

ويعلمنا الكتاب المقدس أن علينا أن نتوجه بالشكر العميق لله على كل واحد من هذه العناصر الأربعة<sup>(1)</sup>.

أما الأترج فنحمله باليد اليسرى ، والأصناف الثلاثة الأخرى نمسك بها معاً باليد اليمنى . ونفعل ذلك لأن الأترج يحتوي من ذاته على كل ما تمثله العناصر الأخرى : فالقشرة الخارجية صفراء كالنار ، واللحاء الداخلي أبيض ورطب كالهواء ، أما اللبّ فمائي ، والبذر جاف كالتراب . وهي تُحمل باليد اليسرى ، هذا لأن اليد اليمنى هي الأقوى ، وثمره الأترج ليست سوى واحدة ، بينما باقى الشعارات ثلاثة .

وهذه الشعارات الأربعة<sup>(2)</sup> تمثل أيضاً الأعضاء الرئيسية الأربعة في جسد الإنسان : فالأترج يشابه شكله القلب نوعاً ما ، وبغير قلب لا يمكن لنا الحياة ، وبالقلب ينبغي للإنسان أن يحب بني جنسه من البشر . أما سَعفة النخيل فتمثل الصلب ، الذي هو عماد هيكل الإنسان والذي يقع القلب إلى الأمام منه ، وهذا يعني أن علينا أن نعبد الله بكامل جسدنا . أما أغصان الآس فتشبه عين الإنسان ، التي بها يرى المرء أعمال إخوانه من البشر ، والتي بواسطتها يمكنه أن يحصل المعرفة بالشريعة . أما أغصان الصفصاف فتمثل الشفاء ، التي بواسطتها يمكن للإنسان أن يُسبح الله الأزلي ويشكره . والآس يُذكر في الكتاب المقدس<sup>(3)</sup> قبل الصفصاف ، لأننا نقدر أن نرى الأشياء ونعرفها قبل أن نتمكن من لفظ أسمائها بشفاها ، وبوسع الإنسان أن ينظر إلى الكتاب المقدس قبل أن يدرسه .

لذلك ، فهذه الأعضاء الرئيسية الأربعة من هيكل الإنسان علينا أن نسبح الخالق ، كما قال داود : «جميع عظامي تقول : يا ربّ من مثلك؟»<sup>(4)</sup>.

(1) نظرية عناصر الطبيعة الأربعة ، التي شاعت في القرون السالفة ، نسفتها في عصرنا علوم الكيمياء الحديثة من عضوية ومعدنية .

(2) هذه المناظرة مثال على ما يزرخ به التلمود من معميات القبلاه الرمزية الغنوصية ، مما ستظهر له أصداء في الأدب الصوفي العرفاني الإسلامي ومصطلحاته الغيبية .

(3) في متيه (ليووين 23 : 40) : «وتأخذون لأنفسكم في اليوم الأول ثمر شجر حمض وسَعَف النخل وأغصان شجر الأيك وصفصاف الوادي ، وتفرحون أمام الربّ سبعة أيام» .

(4) سفر الزامير - 35 : 10 .

وكان الرأبي العظيم مُوشيه بن ميمون في مؤلفه الموسوم بـ «مُوريه نُبوخيم»  
 מורה נבוכים (دلالة الحائرين) ، قد فسّر بأن الله قد أمر اليسرئيليين باتخاذ هذه  
 الشعارات الأربعة خلال هذا العيد ، لكي يذكّرهم بأنهم قد جلبوا من البرية ،  
 حيث لا تنمو ثمار ولا يعيش بشر ، إلى أرض تجري بها الأنهار والمياه ، أرض  
 تفيض لبناً وعسلاً . ولهذا السبب أمرنا الله بأن نحمل بأيدينا الثمر المبارك لهذه  
 الأرض أثناء ترنيم آلاء الحمد له سبحانه ، فهو من صنّع الآيات والعجائب من  
 أجلنا ، وهو من يطعمنا ويمدنا بالقوت مما تُنتبه الأرض .

وهذه الشعارات الأربعة تختلف من حيث الطعم والشكل والرائحة ، تماماً  
 كما يختلف بنو آدام في سلوكياتهم وعاداتهم .

والأترُج فاكهة قيّمة ، فهي تصلح للأكل ولها عَرفٌ طيبٌ للغاية . وهي  
 تشبه بالإنسان العاقل والسالك سبيل الصّلاح تجاه الله وإخوته من البشر . فأما  
 رائحة الأترُج فهي أعماله الصّالحة ، ولبّها هو علومه التي يفتدي منها الآخرون .  
 ولذا فالأترُج هو أكمل هذه الشعارات ، وهو لذلك يُذكر أولاً على الدوام ،  
 ويُحمل بمفرده بيدٍ واحدة .

أما سَعفة النّخيل فرغم أنها تطرح ثماراً ، لا رائحة زكيّة لها . وهي تُشبه  
 بأولئك الناس الحائزين على الفقه ، لكنهم واهون من حيث أعمالهم ، العارفين  
 بالشرّعة والمنتهكين لأحكامها .

ويُشبه الآس بأولئك الناس ذوي الفطرة الطيّبة ، الذين يُحسنون التصرف  
 تجاه الله والناس ، لكنهم غير مُتفهمين في العلم .

أما صَفصاف الوادي فليس له ثمارٌ ولا رائحةٌ عطريّة ، وهو لذلك يُشبه  
 بالناس الذين ليس لهم علمٌ ولا يعملون بصالح الأعمال .

بيد أن هؤلاء إن هم توحدوا جميعاً وبذلوا ضراعاتهم إلى العليّ القدير ،  
 فهو لا ريب سيستمع إلى كلامهم ودُعاءهم ، ولهذا فإن مُوشيه قال لليسرئيليين :  
 «وتأخذون لأنفسكم» . . إلخ ، أي لمصلحتكم ومنفعتكم ، وذلك من خلال  
 حمدكم وتسيحكم للرّبّ خلال الأيام السبعة التي يمرّ بها عيد المظالّ ، متخذين

هذه الشعارات ، وأن تهتفوا معها بعبارة : «هُوشَعْنَا»<sup>(1)</sup> הוּשַׁעְנָא (خَلَّصْنَا) ، مع الآية : «هُودוּ לַיהוָה כִּי طוֹף כִּי לְעוֹלָם חֲסְדּוֹ» הוֹדוּ לַיהוָה כִּי טוֹב כִּי לְעוֹלָם חֲסְדּוֹ : «احمدوا الربّ لأنه مبارك ولأنّ إلى الأبد رحمته»<sup>(2)</sup> .

\* \* \*

وكان الحاخاميم يقولون إنّ مَنْ فاته حضور عيد المظالّ في يروشلّايم ، فقد فاته طعم السعادة الحقيقيّة في حياته . وكان أول أيام العيد يُعقد فيها بوقار تامّ ، أما الأيام الوسطى فيُحتفل بها بالفرحة والابتهاج بضروب من اللّهو .

وكان هيكل يروشلّايم مُجهّزاً برواق للنساء ، كان يُسمّى شقّة النساء ، بينما كان الرّجال يجلسون في الأسفل كما هي العادة إلى اليوم في الكنيس . وإلى ذلك الحدّ جرى ترميمه . وكان الكهنة الشباب يملأون مصابيح الشمعدانات الكبيرة بالزيت ، ويُشعلونها جميعاً ، إلى درجة أن المكان كان يشعّ بالضياء حتى تُتير انعكاساته المتلألئة شوارع المدينة . وكانت الأناشيد والترانيم تصدح بأصوات العباد الأتقياء ، بينما يُرتّل الكهنة من سبط ليوي التسابيح للربّ على أنغام الكنتارات ، والشوفار ، والأبواق ، والمزامير ، وباقي آلات العزف . وكانوا يقفون على خمس عشرة درجة عريضة ، بالغين من الطابق السفلي إلى الرواق ، أي قاعة النساء . وكانوا يُشيدون أثناء صُعودهم خمسة عشر مزموراً ، مُفتحين بمزمور «ترنيمة المصاعد» שִׁיר הַמַּלְאָכִים (شِير هَمَعْلُوت) ، فيما كانت الجوقة الكبرى تنضمّ بأصواتها إليهم .

وكان الرّابي هليل<sup>(3)</sup> الشيخ العتيق مُعتاداً على أن يخاطب في جُموع المُصلّين في هذه المناسبات الدنيّة .

(1) ترد العبارة في سفر أخبار الأيام الأول - 16 : 35 : «وقولوا خلّصنا {هُوشعينو} يا إله خلاصنا واجمعنا وأنقذنا من الأمم ، لنحمد اسم قدسك ونتفاخر بتسبيحتك» . وهذه الترنيمة كانت من الاحتفال بمسح داود ملكاً على كلّ يسرئيل ، وإصعاد تابوت الربّ إلى مدينته الجديدة «مدينة داود» لا 16 : 1 ، انظر السفر المرقوم 15 : 1 .

(2) سفر أخبار الأيام الأول - 16 : 34 . والاسم الأعظم (يهواه) بلفظ : «أدوناي» .

(3) هو الرّابي هليل هتاسي ، تقدّمت ترجمته في القسم الثالث ، صفحة 253 .

فكان معتاداً على أن يقول : «إذا كان الله ساكناً هنا ، فهذا أنتم إذاً هنا موجودون ، كل واحد فيكم ، وأرواح كل منكم . ولكن إن ابتعد الله من بينكم من جرأ المعاصي فمن يكون منكم هنا إذا ؟ هذا لأن الله يقول : «إذا أنت أتيت إلى بيتي آتني إلى بيتك ، أما إن تجافيت عن زيارة مسكني فأهمل دخول مسكنك» كما هو مكتوب في متن التوراه : «في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكراً آتني إليك وأباركك» (خروج 20 : 21)» .

فعندها يُجيب بعض الناس : «طوبى لأيام شبابنا ، إذ لم تصم بالعيب والشنار أيام شبيتنا» . فأولئك كانوا زُمرة أهل التقوى .

بينما يُجيب آخرون : «طوبى لشيخوختنا ، ففيها بُنينا عن خطايا شبابنا وكفّرنا عنها» . فأولئك كانوا زُمرة التوابين .

ثم تنضمّ الزمّرتان معاً وتقولان : «طوبى لمن كان بلا خطيئة . أما أنت أيها المذنب فهلّم إلى التوبة ، إرجع إلى الله تنل مغفرةً واسعة» .

فكان الاحتفال يستمرّ طوال الليل ، حيث أن الشعائر الدينيّة عندما كانت تُختتم كان الناس ينصرفون إلى السمرّ واللّهو الحلال والغامر .

وكان هذا العيد يُسمّى أيضاً «عيد استقاء الماء» ، لأنه خلال قيام الهيكل كان الخمر يُقدّم خلال العام كتقدمة محرقة ، ولكن في عيد المظال كانوا يقدمون تقديمي شراب ، إحداها من الخمر والأخرى من الماء . وبخصوص تقديم الماء كانوا يعملون عيداً خاصاً في اليوم الثاني من صلاة عيد المظال ، يدعونه عيد استقاء الماء . ولقد جرى وضعه بناءً على عبارة النبي يشعياہ :

«فَسْتَقُونَ مِيَاهاً بِقَرَحٍ مِنْ يَنْبِيعِ الْخَلَاصِ»<sup>(1)</sup> .

ושאבתם-מים בששון ממעיני הישועה:

\* \* \*

(1) سفر يشعياہ - 12 : 3 .

## عيد التأسيس (عيد الأنوار - حَنُوكاه) חנוכה

يُحتفل بهذا العيد لمدة ثمانية أيام خلال الشهر التاسع «كسليف» 355 (ديسمبر) ، وهو يخلد ذكرى تأسيس الهيكل من بعد خرابه على يد أنطيوخوس إيفانوس Antiochus Epiphanes ، الذي تم دحر جيوشه على أيدي الحشمونيين ملوك المكابيين الأبطال .

ولقد صنَّع الله القدوس مراراً الآيات والعجائب لصالح أبنائه في ساعة ضيقهم ، فأظهر من خلال ذلك عظمته الفائقة لأمم الدنيا . وهذه الآيات تقف حائلاً دون سقوط الإنسان في حمأة الكفر وعزو كل اتفاقات القدر إلى مسار حركة الطبيعة . فالله الذي خلق الدنيا من العدم ، بإمكانه أن يغير بمشيئته الطبيعة التي أنشأها بيده . فلما أحرز الملوك الحشمونيون - بمعونة الله - نصرهم الساحق وأحلوا في بلدهم السلام والوثام ، كان أول عمل قاموا به تطهير الهيكل وإعادة تأسيسه من بعد خرابه . فعلى ذلك ، وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر كسليف ، التزاماً مناً بفروض الطاعة لتعاليم الحاخاميم ، نشرع في عيد التأسيس من خلال إنارة المصابيح أو الشموع المعدة خصيصاً لهذه المناسبة<sup>(1)</sup> . ففي الليلة الأولى نير واحداً ، ثم واحداً إضافياً في كل ليلة تالية خلال مدة العيد . ونحتفل به كذلك بترتيل ترانيم الشكر والتهليل (هَلְלוּיָהּ הַלְלוּיָהּ) .

وهذا العيد قد تم التبشير به في سفر العدد ، فلما كان أهرون يتلقى تقدمات رؤساء الأسباط كلهم وهدايا أريحيتهم الكبيرة ، كان يساوره شعور ندم ، لأنه هو وسبطه (قبيلته) كانوا غير قادرين على المشاركة معهم في ذلك . لكن هذه العبارات قيلت لتعزية خاطره : «شأنك يا أهرون أعظم من شأنهم ، فأنت من يضيء السرج المقدسة ويصلح أمرها»<sup>(2)</sup> .

(1) فلهذا يُدعى «عيد الأنوار» ، أو «حَنُوكاه» חנוכה المشتقة من العبرية «حَنُوك» חנוך التي تعني التأسيس أو التثنية . و«حَنُوكِيَّاه» חנוכיה هو شمعدان «المُتَوْرَاه» מנורה ذي

التسع شُعب المُستعمل بعيد الأنوار ، بينما تكون المُتَوْرَاه العادية بسبع شُعب .  
(2) انظر سفر العدد 8 : 1-2 : «متى رفعت السرج فإلى قدام المنارة تضيء السرج السبعة» .

فمتى قيلت هذه العبارات ؟

عندما كُتف بمباركة بني يسرئيل ، كما يرد في سفر العدد 6 : 23 ، وكما سيرد لاحقاً في سفر المكابيين بين أسفار الأپوكريفا المحذوفة<sup>(1)</sup> .

والربّ قال لموشيه<sup>(2)</sup> : «كلم أهرؤن وقل له : في الأجيال التي تأتي ، يكون هناك تأسيس آخر وإضاءة للسرّج ، فنسلّك وحده هو من يتولّى هذه الشعيرة<sup>(3)</sup> .  
ولسوف تُرافق المعجزات والعجائب هذا التأسيس . ولا تخشّ علي عظمة رؤساء سبطك<sup>(4)</sup> ، فخلال قيام الهيكل تقدّم أنت القرايين ، وأما إضاءة السرّج فتكون لك ولبنيك فريضة دهرية . ولدى خراب الهيكل سيتوقّف تقديم القرايين ، أما إضاءة سرّج التأسيس الذي يعمله الحشمونيون فلا تتوقّف أبداً» .

وكان الحاخامات يُعلنون هذا الاحتفال بإضاءة السرّج ، لإشهار معجزة الله للأجيال القادمة جميعها ، ولذا فمن واجبنا أيضاً أن نُضيء مثلها في الكنّس وفي بيوتنا .

ورغم أن الله قد ابتلى بني يسرئيل بناءً على معصياتهم ، فهو ما برح يعاملهم بالرحمة ، ولم يسمح بوقوعهم في الهلاك التام ، ولذا فحول هذا العيد أيضاً يردّد الحاخامات هذه الآية من سفر اللّيويين (26 : 44) :

«ولكن مع ذلك أيضاً ، متى كانوا في أرض أعدائهم ما أبيتهم ولا كرهتهم حتى أبيدهم وأنكثّ ميثاقي معهم ، لأنني أنا الربّ إلههم» ואף-גם זאת בהיותם בארץ איביהם לא-מאסתים ולא-געלתים לכלתם להפר בריתי אתם כי אני יהוה אלהיהם:

- (1) لا وجود لسفري المكابيين (مكابيم) بمتون «الكتويم» من النصّ المسوّراتي العبري لأسفار اليهود (تتخ) ، ولا في الترجمات الإنجيلية (الپروتستانتية) ، لأنهما محذوفان ومرفوضان (سفاريم حيصونيم ספרים חיצוניים) . زد عليه أنه ليس لهذين السّفريين إلا أصول إغريقية . أما الطالب لهما فيجدهما في الترجمات الكاثوليكية .
- (2) هذا النصّ ليس في التوراه ، بل هو من أجداه التلمود . إذ كيف يخاطب الله أهرؤن على لسان أخيه موشيه ، فيذكر تأسيس الحشمونيين للهيكل بعد قرون من عصرهما ؟
- (3) ثمة أشياء مُضارعة لذلك في سفر العدد ، الأصحاح 18 .
- (4) أي سبط ليوي الذي منه أهرؤن وأخوه موشيه ، ابنا عمرام بن قهات بن ليوي بن يعقوب .

فهكذا يفسر الحاخاميم هذه الآية :

«ما أبيتهم» ، في زمن الكلدانيين عيّنت لهم دانييل ورفاقه ليخلصوهم .  
«ولا كرهتهم» ، في زمن الأشوريين مددتهم بماتياس وأبنائه ورفاقه لكي

يخدموهم .

«حتى أبيتهم» ، في زمن هامان أرسلت مُردخاي وإستير لإنقاذهم .  
«وأنكث ميثاقي معهم» ، في زمن الرومان عيّنت الرابي يهوداه وشركاءه  
للعمل على خلاصهم .

«لأنّي أنا الربّ إلههم» ، أي في المستقبل سوف لن تتمكن آية أمة من الحكم  
على إسرائيل ، وستعود لنسل أبرهام من جديد دولتهم المستقلة .

هذا وإن تأسيس الهيكل ، الذي يُخلّد عيد «الحنوكاه» ذكراه ، قد تمّ في العام  
3632 للخلقة ، أي في عام 129 ق . م .

\* \* \*

## عيد پوريم

ויקרא

يُخصّص هذا العيد<sup>(1)</sup> ، الواقع في اليوم الرابع عشر من الشهر الثاني عشر  
«آدار» 678 (مارس) ، لتخليد ذكرى خلاص العبريين من مكائد هامان ، عن  
طريق مساعي مُردخاي وإستير ، بعون الله .

ورغم أن الله القدّوس يحذّر الإسرائيليّين ، بغيّة أن يتوبوا عن ذنوبهم ، فهو  
أيضاً يُغريهم ويرغبهم ، لكي يُضاعف لهم الثواب .

فعلى سبيل المثال ، إن الأب الذي يحبّ ابنه ويتمنّى له أن يحسّن من  
سلوكه ، ينبغي له أن يعاقبه على إساءاته ، ولكنه عقابٌ تقف من ورائه محبةٌ  
ضافية .

(1) التسمية «فُوريم» جمع «فُور» ، وهو القرعة التي كان استقسم بها هامان لإبادة اليهود .

قال بعض المرتدين يوماً للرابي صفراً : «مكتوبٌ : «إياكم فقط عرفتُ من جميع قبائل الأرض ، لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم»<sup>(1)</sup> ، فكيف يصح ذلك ؟ هب أن رجلاً له حصانٌ بريٌّ جامح أكان يُركب عليه أعز أصحابه ، فيعرضه لخطر السقوط والإصابة ؟» .

فأجاب الرابي صفراً : «افترض أن رجلاً أقرضَ مالاً لشخصين ، أحدهما صديقه والآخر عدوه . فلا ريب أنه سيسمح لصديقه بتسديد القرض له بالتقسيط بحيث لا يكون سدادُ الدين مُرهقاً له ، وأما عدوه فسيطالبه بالمبلغ كاملاً . فالآية التي تذكرها تنطبق على هذا الأمر بالطريقة ذاتها : «أنا أحبكم ، ولذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم» ، بمعنى : «أعاقبكم عليها حينما تقع ، شيئاً فشيئاً بما يمكنكم من أن تحوزوا على الإبراء والتَّعِيم في الحياة الآخرة» .

إن تصرَّف الملك بتسليم خاتمه إلى هامان كان له على اليهود تأثير أكبر من الوصايا والإنذارات التي راح ثمانية وأربعون نبياً يرددونها على أسماعهم مُسبقاً ولاحقاً . فإذا بهم يلبسون المسوح ويحسون بالتندم الحقيقي وتسيل دموعهم ويصومون ، فعاملهم الله بالرحمة وأهلك عدوهم هامان .

ورغم أن قراءة سفر إستير (مَجْلَاهُ מגלות)<sup>(2)</sup> في عيد «پوريم» ليست من وصايا التوراه ، فهي فريضةٌ علينا وعلى نسلنا . ولذا فهذا اليوم مُعَيَّن للاحتفال والابتهاج وتبادل الهدايا ، وكذلك تقديم العطايا للفقراء لكي يُتاح لهم أيضاً حق الابتهاج . فكما في مرسوم هامان ، لم يتم التمييز بين الأغنياء والفقراء بل حكم عليهم جميعاً بالهلاك ، فالمفروض أيضاً أن تُتاح للجميع موجبات الفرح ، وعلى ذلك ينبغي لنا في جميع العصور تذكُّر الفقراء بسخاء في هذا اليوم .

\* \* \*

(1) سفر عاموس - 3 : 2 .

(2) في هذا العيد يخرج اليهود نرج «مجلت إستير» מגלות אסתר (المكتوبة بيد رحابنة العراق) مرة في العام ، فيقرأونها ويأكلون الفطير מצاه (مَسَاه) الخاص بهذه المناسبة .